الفصل الرابع

الدين والناس والحياة

الغاية والوسيلة :

ماذا يريد الإنسان فى هذه الحياة ... ؟ :

إنه يريد – أولا – تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحياة المستمرة ...

إنه – باختصار – يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبع لا يريد مضادات السعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب ...

إن الإنسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون – كبشر – ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وإن اختلفت مفاهيمها لديهم – فى بعض الأحيان – عن تلك التى يسعى من أجلها غيرهم .

وتحدثنا الكتب المقدسة عما يسعد الإنسان ويشقيه ، فتعده بالأولى إذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية إذا تمرد على المنهج الإلهى ، وجعل الشيطان له قرينا .

* *

ونتبين من التوراة مطالب السعادة التى يرجوها الإسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التى جاء بها موسى :

« إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها : أعطى مطركم

OBEIKAN.COM

فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها .. فتأكلون خبزكم وتسكنون فى أرضكم آمنين .. وتطردون أعداءكم بالسيف .. وألتفت إليكم وأثمركم وأفى ميثاقى معكم .. وأكون لكم إلهًا وتكونون لى شعبا – لاويين ٢٦ : ٣ – ١٢ » .

كما تحدد لنا التوراة عناصر الشقاء التى يحذرها الإسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن إن لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وإن رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى .. فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم واجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم .. وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس .. وأصير مدنكم خربة .. وأذريكم بين الأمم ، وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة .. والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أرض أعدائهم .. فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم – لاويين ٢٦ : ١٤ – ٣٨ » .

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الإسرائيليين – وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية – إنما هى أمور تتعلق بالحياة الدنيا .

فاليهودى لا يرجو إلا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر إلا شقاءها .

* *

أما الإنجيل ، فلا ترجى فيه السعادة إلا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهير :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون – لوقا ٦ : ٢٠ – ٢١ » .

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ .. بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ . متى ٦ : ١٩ – ٢٠ » .

كذلك لا يحذر الإنسان شقاء إلا شقاء الآخرة :

« إن أعثرتك يدك فأقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وإن أعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ – مرقس ٩ : ٤٣ – ٤٨ » .

ويذكر الإنجيل بوضوح على لسان المسيح ، أنه محال الجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء وأصحاب الممتلكات الدنيوية ، إذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للأغلبية الساحقة منهم – إن لم يكونوا جميعهم – سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون – متى ٦ : ٢٤ – ٢٥ » .

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك إلى ملكوت الله . . مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله – مرقس ١٠ : ٢٣ – ٢٥ » .

* *

وأما فى القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ *

وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ، وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١] .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

ولقد جمع إبراهيم أبو الأنبياء بين خيرى الدنيا والآخرة ، إذ قال الله فيه .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

والإسلام يحث المسلم على السعى من أجل الغنى وكثرة المال ، يطلبه بالطرق المشروعة وينفق منه فى أعمال الخير المشروعة . فيسعد دنيا وأخرى ويسعد الآخرين :

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[النساء : ١٠٠] .

﴿ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾ [النساء : ٩٥] .

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُونَ ، الحَمْدُ للهِ ، بَلْ أَكثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٥] .

ولقد جعل الله طاعته وسيلة للحياة السعيدة بأموالها الوفيرة وإمكاناتها المتنوعة . فكان قول نوح . وغير من المرسلين – لمن أرسل إليهم :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠ – ١٢] .

وكان قول هود لقومه عاد :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] .

ولقد استعاذ سيدنا رسول الله ﷺ من الفقر وجعله قرينا للكفر ، فقال : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » (١) .

وقال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » (٢) .

وقال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

فاليد العليا التى تعطى خير من اليد السفلى التى تأخذ الصدقة أو العطية .

وقال لسعد بن أبى وقاص : « إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم » (٣) .

*

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

[القصص : ٧٧] .

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا أنفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

---

(١) رواه أبو داود وغيره .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس .

(٣) رواه البخارى .

OBEIKAN.COM

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

*

وحين يتمرد الإنسان على منهج الله فعليه أن يتوقع الشقاء ، لا فى الآخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩] .

﴿ فَإِنَ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

هذا – ولما كانت الحياة الآخرة حياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل أن يوجه همه إلى الآخرة وأن يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة . من أجل ذلك كان على المسلم أن يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه أن يوثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك أن يعترف بشقاء الدنيا والآخرة ، إلا أن ما فى الآخرة أشد وأقسى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فإِنَّ الجَحِيمَ هِىَ المأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المأوَى ﴾ [النازعات : ٣٧ – ٤١] .

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ، وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٧] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا ، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [لقمان : ٨ ، ٩] .

* *

وخلاصة القول فى النظر إلى سعادة الإنسان وشقائه ، إنها فى اليهودية دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية أخروية فحسب ، بينما هى فى الإسلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

* * *

OBEIKAN.COM

حـــدود الرسالة

حدود رسالة موسى :

ولد موسى من أبوين إسرائيليين ، وتربى فى قصـر فرعون ، ونشأ بين المصريين . وفى هذا يقول سفر أعمال الرسل : « تهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا فى الأقوال والأعمال ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بنى إسرائيل – ٧ : ٢٢ – ٢٣ » .

لقد اضطـرته الـظروف أن يـهرب إلى أرض مـدين – بعد أن قتـل مـصريا – ، وهناك تزوج وأنجب ذرية . « وظهـر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلَّيقة .

فنظر وإذا العليقه تتوقد بالنار .. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم .. فلما رأى الرب أنه مال ، ناداه الله من وسط العليقة .. ثم قال : إنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب .. قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم .. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر . خروج ٣ : ٢ – ١٠ » .

وهكذا كانت رسالة موسى إلى بنى إسرائيل ، وبنى إسرائيل وحدهم دون سواهم . وهكذا تختص الديانة اليهودية بالقبيلة الإسرائيلية وحدها دون سواها .

ولقد أقام الله لهم أنبياء من بعد موسى يهدوهم إلى طريق الله ويقيمون فيهم التوراة ، ولكنهم عبر العصور كانوا الشعب المتمرد والأمة العاصية . فها هو النبى أشعياء الذى جاء بعد موسى بنحو خمسة قرون ينقل لهم وحى الرب قائلا :

« الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا علىّ . الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يـعرف . شعـبى لا يفهم .

OBEIKAN.COM

وبل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين . تركوا الرب ، استهانوا بقدّوس إسرائيل ، ارتدوا إلى وراء .. تزدادون زيغانا . كل الرأس مريض وكل القلب سقيم – أشعياء ١ : ٢ – ٥ » .

* *

حدود رسالة المسيح :

جاء المسيح رسولاً إلى بنى إسرائيل وإلى بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم. وفى هذا تقول الأسفار المسيحية :

١ – قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك إليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الإسرائيلى فقط ، إذ قال لها :

« ستحبلين وتلدين ابنا .. يعطيه الرب الإلّه كرسى داود أبيه . **ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد** ، ولا يكون لملكه نهاية – لوقا ١ : ٣١ – ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت إسرائيل يوما واحدا ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحى . فقد قال بوضوح : « **مملكتى ليست من هذا العالم** – يوحنا ١٨ : ٣٦ » .

« وأما يسوع ، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا **ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده** – يوحنا ٦ : ١٥ » .

٢ – ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التى ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الإسرائيلى فقط ، فقال قولته الشهيرة : « **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** – متى ١٥ : ٢٤ » .

وكان ذلك هو أمره المؤكد إلى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : **إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** – متى ١٠ : ٥ – ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم

OBEIKAN.COM

يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأمميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة .

٣ – وإذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فإن دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر فى أسباط إسرائيل الاثنى عشر . فلقد سأله بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده ، **تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر** – متى ١٩ : ٢٧ – ٢٨ » ورغم هذا الوضوح فى تحديد دائرة التبشير المسيحى الحقيقى ، فإننا نجد إنجيل مرقس ينسب للمسيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها – مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب إليه مثل ذلك فى خاتمة إنجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك إنجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

إن حقيقة هذه الأقوال التى تتحدث عن تبشير العالم بالإنجيل تتضح حين نعلم الآتى :

إن خاتمة إنجيل مرقس التى تتكلم عن ظهور المسيح – الأعداد من ٩ إلى ٢٠ ، والتى تشتمل على العدد ١٥ الذى يتكلم عن تبشير العالم بالإنجيل – ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الإنجيل ، ولكنها إضافات أدخلت إليه حوالى عام ١٨٠ م ، أى بعد أن سطر مرقس إنجيله بنحو ١٢٠ عاما .

يقول نينهام فى تفسيره لإنجيل مرقس : « إنه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ – ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقس (مثل نسخة الملك جيمس وغيرها) إلا أن **الترجمة القياسية المراجعة** مصيبة تماما فى اعتبارها غير شرعية ، منزلة إياها من النص إلى الهامش .. إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط ، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من إنجيل مرقس حوالى عام ١٨٠ م »[1] .

(1) D . Nineham : Saint Mark . PP . 449 - 450.

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة إنجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالإنجيل بين جميع الأمم ، فإن العلماء يشكون فيها لأسباب يذكر منها العالم الألمانى الكبير ادولف هرنك : « لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التى تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس – وهى الشطر الثانى من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا »[1] .

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة إنجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم ، فإن القارئ يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التى تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها ، فهى تنسب للمسيح قوله : « كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى **اليوم الثالث** . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدئا من أورشليم – ٢٤ : ٤٦ – ٤٧ » .

ومن المعلوم – حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب **يوم الجمعة** ، ووجدت المقبرة خالية **فجر الأحد** . وبالحساب البسيط يتبين أنه لم يدفن « **فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » ، حسب النبوءة التى أوردها متى فى١٢ : ٤٠ ، وإنما كانت مدة الدفن – حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالإنجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة فى اليوم الثالث، وهو شىء لا يتفق وأبسط الحسابات ولهذا لا توجد مصداقية لهذه الأقوال وما شابهها .

*

(1) A . Harnack : HISTORY OF DOGMA , vol . I , p . 79 .

OBEIKAN.COM

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل أن رسالة المسيح خاصة « بخراف بيت إسرائيل الضالة » ولا غير .

* *

هذا - وحين نتتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ، بعد رفعه ، نجده منحصرا فى اليهود . أن هذا ما ينطق به **سفر أعمال الرسل** قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس ، فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، **وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط** - أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر إلى قبرس . ولما صارا فى سلاميس **ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود** - أعمال الرسل ١٣ : ٤- ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) إلى تسالونيكى حيث **كان مجمع اليهود ، فدخل بولس إليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب** - أعمال الرسل ١٧ : ١٠ - ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود **خراف بيت إسرائيل الضالة** - فقد فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ، **بدافع من نفسه** . فقد كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، وإذ كانوا يقاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم . أنا برئ . **من الآن أذهب إلى الأمم** - أعمال الرسل ١٨ : ٥ - ٦ » .

وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين اليهود فقط ، حتى جاء بولس الذى خرج بالمسيحية إلى العالم ، مخالفا قول المسيح : « **ما جئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة** » .

ويترتب على ما سبق أن تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته - إن صح هذا التعبير - لابد أن توجه إلى الإسرائيليين ، ووفق مفاهيم إسرائيلية ، ولا علاقة لها بالرومان ، حكام فلسطين آنذاك ، أو القانون الرومانى .

* * *

OBEIKAN.COM

المسيح لم يأت بشريعة جديدة :

لقد أعلن المسيح فى مستهل دعوته الإطار العام لتعاليمه ، فقال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع إليه من بنى إسرائيل :

« **لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل** . فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات – متى ٥ : ١٧ – ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى إسرائيل أن يتمسكوا بكل ما يأمرهم به الحفاظ على شريعة موسى من كتبة وفريسيين ، وفى هذا يقول الإنجيل :

« **حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا** : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون – متى ٢٣ : ١ – ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجده فى كل حين مرتبطا تماما بناموس موسى ، حريصا عليه ، داعيا إلى الاستمساك به ، بدءاً من الوصايا حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم إليه واحد قائلا : « أيها المعلم الصالح ، أى صلاح عمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ .

فقال له : لماذا تدعونى صالحا ! ليس أحد صالحا إلا واحد ، وهو الله .

ولكن أن أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

قال له : أية الوصايا ؟ .

OBEIKAN.COM

فقال يسوع : لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك – متى ١٩ : ١٦ – ١٩ » .

وحين شفا أبرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ،وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهاة لهم – مرقس ١ : ٤٤ » .

« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث .

فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! – لوقا ١٢ : ١٣ – ١٤ » .

من هذا – وغيره – يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ، وإنما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو بنى إسرائيل إلى السمو الأخلاقى والتخفيف من الماديات . فإذا كانت شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعدل ، فالأفضل منه ولا شك العفو والتسامح ... وهكذا .

*

لكنا نجد فى الأناجيل تشريعات تُنسَب للمسيح ، تناقض تشريعات موسى وتهدمها من أساسها .

إن ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على الزوج ، دون الزوجة . وفى هذا يقول :

« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته** ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر .

فإن أبغضها الرجل الأخير ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته** أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة – تثنية ٢٤ : ١–٤ » .

فهذا إنجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيها للفريسيين الذين حاولوا استدراجه والإيقاع به :

OBEIKAN.COM

« من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها . وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى – ١٠ : ١١ – ١٢ » .

ولقد ورد هذا القول فى إنجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى موضعين مختلفين : الأول : فى موعظة الجبل ، فى ٥ : ٣١ – ٣٢ ، والثانى : فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩ .

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب الزوجة – **وليس الزوج** – جريمة الزنا ، فقال فى الإصحاح رقم ٥ : « إن من طلق امرأته **إلا لعلة الزنا – يجعلها تزنى** . ومن يتزوج مطلقة فأنى يزنى » .

ثم جاء هذا القول بصيغة مغايرة فى الإصحاح رقم ١٩ ، حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، إلا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ، واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ، فقال :

« إن من طلق امرأته **إلا بسبب الزنا** وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » .

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء ، وخالفهما فى أشياء ... فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى » .

واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ، خلافا لمرقس الذى لم يذكر شيئا من هذا .

لقد نسب كتبة الأناجيل للمسيح أقوالا متناقضة مثل قوله :

« زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى – لوقا ١٦ : ١٧ – ١٨ » .

ففى الشطر الأول من هذا القول نجد المسيح يؤكد على التمسك بالناموس واستحالة نقض تعاليمه ؛ بينما هو ينقض الناموس فى الشطر الأخير من قوله وذلك بمنع الطلاق الذى يسمح به الناموس .

OBEIKAN.COM

يقول **جورج كيرد** فى تفسيره لإنجيل لوقا : « إن الكلمة التى ترجمت (نقطة) تعنى حقيقة خطا دقيقا أو ذيلا زخرفيا فى أعلى حرف الكتاب أو أدناه . وحين يقال إنه لا يمكن إلغاء الذيل الزخرفى لحروف الناموس ، فإن هذا يعنى أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، **تبقى سارية المفعول إلى الأبد . أن هذا يمكن أن يقوله أى حبر ، لكنا لا نستطيع تصوره على شفتى يسوع ، وخاصة فى ضوء الواقع ، إذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن تغييرا فى ناموس موسى خاصا بالطلاق . .** إن ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١ – ١٢ ، يساعدنا على إدراك **أن يسوع لم يكن يشرع ؛ لكنه كان يشير إلى المعايير الأخلاقية العليا** التى تصبح فى مقدور أولئك الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع إن موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم : فحيثما تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، **ويجب أن يحمى الطلاق المجتمع من شر أكبر** . . ولكن ، هناك فقط فى الملكوت ، حيث يوجد الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق »[1] .

وهكذا يتبين ضرورة إعادة النظر فى كثير من المفاهيم المسيحية التى صار مسلمات عند الملايين عبر القرون ، وثبت عدم صحتها بعد الدراسة والتمحيص .

* *

حدود رسالة محمد :

لقد قال المسيح فى الإنجيل : « تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى – يوحنا ٧ : ١٦ » .

« لأنى لا أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم – يوحنا ١٢ : ٤٩ – ٥٠ » .

ولقد حدد الله رسالة المسيح فأعلن على لسانه :

« لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة – متى ١٥ : ٢٤ » . وهذا

(1) G . Caird : Saint Luke , PP . 189 - 190 .

الأسلوب اللغوى – أسلوب الحصر – القائم على النفى والاستثناء ، يحصر رسالة المسيح فى بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم ٠

وبنفس هذه الصيغة حدد الله رسالة نبيه محمدا فقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ٠

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِه لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ١ – ٢] ٠

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ لاَ يَعْلَمُـونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] ٠

ولقد أمر الله رسوله محمدا أن يعلم الناس بهذه الحقيقة ، فقال له :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ ، فآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِه وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ٠

تلك حدود رسالة الإسلام وحقيقتها ٠ فهى دعوة عالمية لكل الناس ، ولهذا حفل القرآن بمخاطبة الناس جميعا فى مثل قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـــاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَـلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] ٠

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِه فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٤ – ١٧٥] ٠

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] ٠

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ [الإسراء : ٨٩] .

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ منْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٥٧] .

*

لقد قامت الأسفار اليهودية والمسيحية على بنى إسرائيل وحدهم دون سواهم ، وكأن أمم الأرض الأخرى ليس لها من رحمة الله نصيب . لكن القرآن يعلمّنا غير ذلك ، فيؤكد لنا عناية الله بخلقه أجمعين . وهذا بعض ما يقال فى هذا المجال :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيه إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَـهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة : ٢١٣] .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر : ٢٤] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ ، فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾

[النساء : ١٦٤] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . [إبراهيم : ٤] .

OBEIKAN.COM

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِه ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] .

* *

هذا – ومن الجدير بالذكر أن محمدا رسول الله ﷺ قام يدعو الناس على مراحل وفق تسلسل منطقى . فبدأ بدعوة أهل بيته أولا فآمنت زوجه خديجة وربيبه وابن عمه الصبى على بن أبى طالب ، ثم صديقه الحميم أبو بكر ... بعد ذلك انطلق يدعو عشيرته الأقربين ، ثم قبائل العرب قريبها وبعيدها . ثم كانت الهجرة إلى المدينة ودعوة اليهود وغيرهم وخاصة وفود النصارى التى قدمت إلى المدينة .

وفى أواخر السنة السادسة من الهجرة – السنة التاسعة عشرة من بدء الرسالة – حين رجع رسول الله من صلح الحديبية ، كتب إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الإسلام . واختار من أصحابه رسلا ذوى معرفة وخبرة فى حمل مثل هذه المهمات الجليلة . فكتب رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة ، وإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، وإلى كسرى ملك فارس ، وإلى هرقل قيصر الروم ، وإلى ملك عُمان وحاكم البحرين وغيرهم .

فبهذا – وغيره كثير – كانت دعوة الإسلام عالمية ، وانطلقت هكذا عبر القرون ، وفق التعاليم والتطبيقات .

هذا ولعل خير ما نختم به هذا البحث – الذى دار حول موضوع : الإسلام والأديان السماوية ، معطيا موجزا مُركَّزا لنقاط الاتفاق والاختلاف – هو أن نقول :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٨٠ – ١٨٢] .

* * *

OBEIKAN.COM